التناص القرآني في شعر غادة السمان

م.م شازاد كريم عثمان و م.م لمياء ياسين حمزة
جامعة رابرين/فاكلتي التربية الأساسية/قسم اللغة العربية

النص جزء من العالم لايمكن عزله عن المجتمع ، فهو يكتسب أهميتُهُ من العالم وعزل النص عن العالم يفقده بريقه ويصعب عملية فهمه ، وكل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراأى فيه بمستويات متفاوته ، وأشكال ليست عصية على الفهم ، والموضوع المختار (التناص القرآني في شعر غادة السمان) باختصار هو أن تضمن الشاعرة (المبدعة) إنتاجها القليل أو الكثير من النصوص القرآنية ، ويكون هذا التضمين في خدمة المعنى الشعري ، وسنحاول الكشف عن مدى إسهام هذه النصوص القرآنية وتاثيرها في البناء الفني لقصائد غادة السمان ، وفي تعميق الفكرة التي جاءت في سياقها ومدى إفادة الشاعرة منها.

بدات الدراسة بالحديث عن التناص (لغةً وإصطلاحاً) ودراسة (أهمية التناص مع القرآن الكريم) فهو يجعل النصوص الشعرية ذات سلطة تأثيرية قوية ، ويجعل النصوص تزخر بجوانب إنسانية وقيم أخلاقية . وتطرق الى (تأثر غادة السمان بالدين الاسلامي) من خلال الكشف عن علاقة الشاعرة بالتراث الديني ، والبحث عن تداخل النصوص وبؤر تفاعلها في النص الشعري ، مع ذكر الشواهد التي تؤكد هذه المعاني .

التناص لغة :

يرجع التناص الى أصل مادة " نصص" وإذا تتبعنا معناه في المعاجم العربية التراثية نجده يدل على الإظهار ، فأبن دريد(ت 321هـ) يقول : " نصصت الحديث أنصه نصاَ إذا أظهرته ، ونصصت الحديث إذا عزوته إلى محدثك به "[1] . ويرد في لسان العرب بمعنى الاتصال "يقال هذه الفلاة تناصي أرض كذا او تواصيها وتتصل بها " [2].

أما المعاجم العربية الحديثة فقد ورد بمعنى الازدحام فقد جاء في المعجم الوسيط : " تناص القومُ : ازدحموا " [3]. وهذا المعنى الأخير يقترب من مفهوم التناصية بصيغته الحديثة فتداخل النصوص قريب جداً من إزدحامها في نص ما .

التناص اصطلاحاً :

يعد التناص من الموضوعات الحديثة في الكتابات النقدية العربية ، فهو وسيلة لإثراء النص بفتحه على نصوص اخرى ، ولأنه نوع من الربط ، فقد عرفه عبدالله الغذامي بانه " نص يتسرب الى داخل نص آخر ، يجسد المدلولات سواء وعى الكاتب بذلك أم لم يع " [4] ، وأول من بلور مصطلح (التناص) كمفهوم يعني علاقة بين النصوص تحدث بكيفيات مختلفة هو (ميخائيل باختين)وأدخلته (جوليا كريستيفا)إلى حقل الدراسات الأدبية، في ستينيات القرن العشرين ، وجعلته

وظيفة تناصية تتقاطع فيها نصوص عدة في المجتمع والتاريخ وأسمته (الإديولوجيم)ولكن تسمية التناص هي التي تمكنت من الشيوع وذاع صيتها بشكل موسع وسريع وعنه تولدت مجموعة من المصطلحات ، ليصبح بمثابة البؤرة في مجال النقد الحديث،ومن هذه المصطلحات التي انبثقت عن التناص: التناصية ،المناص ،المتعاليات النصية،و الميتانص وغيرها،وقامت بممارسته جماعة (تل كل)TEL.QUEL الفرنسية التي كانت كريستيفا واحدة من أعضائها [5].

وإن مصطلح التناص في النقد العربي الحديث هو ترجمة للمصطلح الفرنسي (inter) إذ تعني الكلمة (inter) في الفرنسية : التبادل ، بينما تعني كلمة (texte) : النص واصلها مشتق من الفعل اللاتيني (textere) وهو متعد ويعني (نسج) أو (حبك) وبذلك يصبح معنى (intertexte): التبادل النصي وقد ترجم الى العربية : بالتناص الذي يعني تعالق النصوص بعضها ببعض [6] .

وحاول محمد مفتاح في كتابه (تحليل الخطاب الشعري) / استراتيجية التناص، ان يعرف مفهوم التناص . اعتمادا على طروحات (كريستيفا وبارت وريفاتير وجينيت) ففي تعريف للتناص عرض تعريفات هولاء النقاد وغيرهم ثم خلص الى تعريف جامع للتناص : " هو تعالق (الدخول في علاقة) مع نص حدث بكيفيات مختلفة " [7] .

ويتضح مما سبق ، ان التناص هو انَّ يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو افكاراً أو معارف أخرى سابقة عليه ، بحيث تندمج النصوص السابقة مع النَّص الأصلي مشكّلةً نصّاً جديداً موحدا متكاملاً [8].

أهمية التناص مع القرآن الكريم :

استحضر الادب الحديث المعاصر القرآن الكريم بوصفه مصدراً أدبياً ، يتسنم ذروة البيان والفصاحة ، وبوصفه كتاباً دينياً يمنح الخطاب الشعري سمة التصديق، فيجعله مفتوحاً على التأويل والتفسير في الذات الانسانية ، وباختصار يعمل على إنتاج دلالة مؤزارة للنص بالتضمين أو التلميح ، "ويكاد لايخلو خطاب شعري حداثي من إستدعائه وأمتصاصه ،ويصل الامتصاص الى درجة الذوبان حتى نكاد لانفصل فيه بين الخطاب الحاضر والخطاب الغائب نتيجة لكثافة الاستدعاء من ناحية وإمتزاجة بنسيج الخطاب الشعري من ناحية أخرى ، وهو إمتزاج يكاد يتخلص نهائيا من السياق القرآني" [9] .

ويعد القرآن الكريم رمزاً للمثل والقدوة والعظة ، والنصوص القرآنية قادرة بلا شك – على الهام الشاعر بماتحويه من معان متجددة ، فان استدعاء النصوص القرآنية هو أحد السبل لإرتقاء الشعر، فلهذه الاستدعاءات رؤى خاصة تتجانس وتتلاءم وتقوي الموقف الشعري فـ(النصوص الغائبة) هي العتبات أو الشفرات التي يمكن من خلالها الدخول الى النص الحاضر وهو

مايجعل في النص نكهة وجمالية عند المتلقي يربطها بجذور معينة يستمتع خلال عملية تلمسه لها .ورحم الله أبا العلاء المعري (ت 449هـ) الذي ذكر في رسالته الغفران إنَّ الجودة الفنية في الشعر لاتكفي وإنما لابد من أن يكون معها مضمون منسجم مع الرؤية الدينية العامة للحياة والوجود والكون والمصير. فهو آفق للتفكير ، لايتأتى إبعاده ،ولايمكن الاستغناء عنه ، ومرآة للوجدان ينصقل بانصقالها . ويتغيم بانغيامها ،إن حرث المين أجدب وأكدى ، وإن ورد الصدق ارتوى وروى [10] .

إنَّ الشعر يمثل ظاهرة لغوية فريدة ، فكلما قل لفظه زادت قدرته على التعبير، يخرج من قيود اللغة ومن قيود المنطق للسمو بالخيال والمجاز إلى ما يعجز غيره عن الوصول اليه ، وبذلك يكون التناص القرآني من فضاءات الشاعر الجديدة التي يستطيع الاستفادة منها بتوظيفها في بنية القصيدة الجديدة التي تجعل لها خصوصية تميزها عن التقنيات الشعرية الاخرى ، من خلال نقل بنية النص من البنية السطحية إلى البنية الدلالية العميقة .

تأثر غادة السمان بالدين الاسلامي :

نشأت غادة في مجتمع عربي محافظ (دمشق) له جذوره العريقة ،واثاره العظيمة ، فضلاً عن انها ترعرعت في أحضان عائلتها وكان والدها حريصاً على تعليمها تقول:(أعرف إني تعلمت الفرنسية كأول لغة ثم العربية والقرآن ليستقيم لساني)([11]) .

وغادة شاعرة موهوبة ، ومتجددة ، ومنفتحة على لغة الحداثة ، ونستكشف من شعرها أصالة ثقافتها ، فنصوصها مليئة بالومضات القرآنية التي تضيء الكثير من ، أشعارها ، واستثمارها هذه النصوص القرآنية على صعيد تعميق الدلالة وخدمة المعنى الشعري ، وتوسيع فضاء المعنى في النص الشعري .

ويشكل النص القرآني مكوناً جوهرياً من مكونات (اشعار غادة السمان) مما أسهم في صنع دلالاتها وتشكيل ملامح شخصياتها ، ومن الطبيعي أن تعود الشاعرة إلى التراث الديني بوصفه واحدة من مقومات شخصياتها العربية ، فهو نص مقدس له امتداد ، وفاعل في الحاضر وفي الماضي ، ومنهل عذب خصب لمختلف أنواع التفاعلات النصية وتعالقاتها [12].

والكتابة هي إعادة إنتاج مستمرة ودائمة ، وغادة نسجت خيوط اشعارها مستندة على افكارها وثقافتها مستمدة من النص القرآني ، لتنتج خطاباً مبدعاً ، وتقدمه عن طريق النص الجديد ، فقد إرتكز شعر غادة في التناص القرآني إلى :

1- التناص مع المفردة القرآنية :

إستثمرت غادة السمان مفردات القرآن الكريم ودلالتها ووظفتها في أشعارها ، فكانت قصائدها فيها روائع عظيمة ،محملة بدلالات تنسجم مع النص الشعري ففي قصيدة "خيانة افتراضية"[13] تقول :

لن تغفر لك الاسماك

إنحيازك الى البركة الآسنة ،

نكاية بالبحر .

وظفت الشاعرة مفردة (الآسن) التي وردت في قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}[14].

تصوغ الشاعرة الآيات القرآنية وما يتصل بها من دلالات على وفق رؤياها الذاتية وما ينسجم مع حالها ، فهذه الخيانة هي سلاح قوي استخدمته الشاعرة لإحداث نكاية سريعة وحاسمة من الطرف الأخر والنكاية جاءت بقصد : قهره وغلبه أو جرحه وقتله. فمفردة(الآسن)التي وردت في قوله تعالى (الماء الآسن) هو الماء المتعفن المتغير طعمه ،كما ورد في معجم العين ، أسن: أَسَنَ الماء يأْسِنُ أَسْناً وأُسُوناً فهو آسِنٌ، أي: متغير الطَّعم. وأَسِنَ الرَّجُلُ أَسَناً فهو أَسِنٌ، إذا دخل بئرا فأصابه ريحُ الماءِ الآسن فغُشِيَ عليه أو مات، وأَسِنَ، إذا دار رأسُه من ريحٍ تصيبه[15]. كما ورد بذات المعنى في معجم مقاييس اللغة ، (أَسَنَ) الْهَمْزَةُ وَالسِّينُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ، أَحَدُهُمَا تَغَيُّرُ الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ السَّبَبُ. فَأَ [مَّا ا] لْأَوَّلُ فَيُقَالُ: أَسَنَ الْمَاءُ يَأْسِنُ وَيَأْسُنُ.: إِذَا تَغَيَّرَ. هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ [16].

والماء الآسن هو الماء الراكد العفن ، ووصف الله ماء الجنة بأنه غير آسن ، فيتمثل لنا هنا كيفية الربط بين معنى الآية وربط المعنى الشعري في نسق واحد .

واستثمرت الشاعرة في قصيدة " بومة عاشقة في ليل الحبر" [17] ، لفظة (زقوم) لتضفي دلالة جديدة على القصيدة :

مرة هددتني جدتي بـ" لقمة الزقوم " إذا كذبت..

ومن يومها وأنا أقول الصدق في حضرة الورقة المقدسة .

وهذا يمثل تناصاً مع الآية الكريمة : {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ} [18] .

إنَّ شجرة الزَّقُّومُ طعام الأثيم ، والزقوم: كُلُّ طَعَامٍ يَقْتل؛ عَنْ ثَعْلَبٍ. والزَّقُّومُ: مَا وَصَفَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ؛ قَالَ: هُوَ فَعُّول مِنَ الزَّقْمِ اللَّقْم الشَّدِيدِ وَالشُّرْبِ الْمُفْرِطِ [19].

أي ان الزقوم يطلق على كل طعام يقتل، ولقمة الزقوم مذاقها مر ، ورائحتها نتنة ، لذا استخدمتها الشاعرة استلهما من شجرة الزقوم في جهنم لتدل بها على ان هذه اللقمة تسبب الاختناق والموت الفوري بسبب الكذب ،ويقولون " زي لقمة زقوم اللي بتقف في الزور" [20].أي

إن هذا الشيء يقف في طريقنا ، ويفسد علينا عملنا ، كاللقمة الحرام التي تقف في الحلق . فنجد إنَّ المفردة القرآنية دخلت في تناص رائع من المفردة الشعرية ، فأضفت عليها جزالة اللفظ ، وخصوبة المعنى ، وعمق الدلالة لتعزيز معنى القصيدة .

ومن الألفاظ الأخرى التي ذكرتها غادة لفظة (ملكوت) في قصيدة"وحده حبيبي الحقيقي..."[21]:

وحده الحزن

يطل لامتناهياً ، واثقاً من نفسه

وحده يعرف كيف يمتلكني

وفي ملكوته وحده

اعرف شهقة التلاش .

فإنَّ الكلمة (ملكوت) قد جلبتها الشاعرة وغرستها في التركيب الشعري ، ولكنها تظل تستدعي موروثها القرآني الأصلي الذي كانت فيه الآية الكريمة: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[22].

ملكوت ← العز والسلطان

ملكوت الله ← سلطانه وعظمته [23] .

التلاشي ← يعني العدم

إنَّ أحزان غادة السمان الناتجة من الهموم والفقد والغربة ، هذه المشاعر السلبية عندما تعيشها تكون خاضعة لها وتحت تاثيرها وهي ناتجة من الظروف الخارجية أو عدم رضى الشاعرة عما يحدث فيجعلها تحت ضغط نفسي يجعلها لا تشعر بالاطمئنان والراحة ، لذلك تخضع لملكوت الحزن وسلطته وهذا ما يدفعها لخسارة الحياة والرغبة في التلاشي

وفي قصيدة " وها أنا انساك .." [24]:

مرة

كان حبك

وكان حبك شراع مركب الفرح العتيق

ورحيلاً من نهر الظلمات والدم

الى جزر الدهشة وصحو مطر النجوم

تناص مع الآية الكريمة : {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ}[25] .

هذا التفاعل بين النصوص في توارثها وتداخلها تطلق عليها احدى مدارس النقد المعاصر تداخل النصوص [26]. فالتناص واضح في النص الشعري إلا إنَّ الشاعرة رتبت النص بما ينسجم مع كتابة الشعر في القصيدة .

نهر الدم . تقصد به الحروب

نهر الظلمات . هي ثلاث ظلمات (ظلمة الغربة ، ظلمة المنفى ، ظلمة فقد الأحبة(الزوج والوالدين) .

إنَّ الحب يمثل لغادة المعادل الموضوعي للحياة ، فالحب يمنح الحياة الأمل والتجدد والسعادة وهو يخرجها من دائرة الظلمات – الغربة التي تعانيها والحزن على بلد تفترسه الحرب بعد إنّ كان يمثل لها موطن الآمال والملجأ – إلى عالم الأحلام والأمنيات والأفراح سعادة بالمطر والنجوم المتلألئة في السماء .

التناص مع التركيب القرآني :

حاولت الشاعرة استثمار التراكيب القرآنية في إشعارها ، فهي تضفي قوة وجزالة على النص ، فالخطاب القرآني لايضاهيه خطاب فهو نبع ثر لا ينفذ ، وهذا ماجعل نصوص غادة تشد المتلقي ليتفاعل معها النص ويكشف ماهية تفاعله مع النصوص الأخرى ، ففي قصيدة "اشهد على كيدك العظيم "[27] :

النسيان وحده ياسيدي

سيطلق سراحي من كيدك العظيم !

(كيدك العظيم) وقد ورد ذلك في قوله تعالى : {فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [28].

"ان كيدكن عظيم " هذه العبارة التي اسُتخدمت للهجوم على المرأة فصار كيد المرأة وحيلتها معروفين عند الكل ، يكفي أنها وردت في القرآن الكريم ، ولكن غادة تؤكد إنَّ للرجال كيدا عظيماً أيضاً ، فكلا الطرفين يحمل في داخله نوازع الشر والخير والمكر والخبث ، فلقد وقعت في أسره وتريد التحرر وذلك عن طريق النسيان باعتبار النسيان شكلاً من أشكال الحرية ، فبالنسيان يستريح البال وتزول الهموم ، وتُنس الجراح ، ولولا النسيان لظل البال مرهقاً ، وظل الفكر في عناء وبالنسيان ستحصل على أفكار جديدة ، فهو الملجأ الآمن .كأنما تريد الشاعرة أن تنزع ذكريات الماضي بالنسيان .

ان الشاعرة تؤمن بقدرة الله على فعل شيء يأمر به ، وتمنح هذه القدرة للحبيب الذي يمتلك قلبها حتى صار بمقدرته التحكم بافراحها وأحزانها ففي قصيدة " واحبك أكثر من... ذنوبي " [29]:

وتقول شفتاك للفرح : كن

فيكون !...

وهذا مأخوذ من قوله تعالى : {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[30] .
اي انما يأمر بالشيء مرة واحدة ولايحتاج الى تكرار وتأكيد ، اذا ما اراد الله امرا فانما يقول له(كن فيكون) .فالشاعرة خاضعة لسلطة الحبيب ومن شدة حبها اصبحت تحت آمره ، فعندما يأمرها بشيء تنفذ بسرعة دون أن يكررالامر ، فالعلاقة التي تربط المحبين تكون علاقة اقوى من مجرد مشاعر تتبادل انما هي مشاعر تمنح القلب والروح حتى الامتلاك .

ان غادة تستدعي النص القرآني وتعمل على انتاج شعري مستمد من أفاقه وهذه المداخلة تتم مع كل كل حالة ابداع نص ادبي ، ولا وجود للنص البريء الذي يخلو منها ، واي نص لايقبل هذه الظاهرة هو نص عقيم .فنجد هذه المداخلة في قصيدة "واعطنا حبنا كفاف يومنا"[31]:

واستوطنت تحت جلدك

وصار نبضك ضربات قلبي

ولم اعد أميز بين الخيط الابيض والاسود !

فهوتناص مع الاية الكريمة :{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [32] .

الخيط الابيض . ضوء النهار بطلوع الفجر

الخيط الاسود . سواد الليل وظلمته ، بدليل إنَّ سهل بن سعد قال: نزلت" وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود" ولم ينزل" من الفجر" وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد" من الفجر" فعلموا أنه إنما يعني بذلك بياض النهار. وعن عدي بن حاتم قال قلت: يا رسول الله، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهما الخيطان؟ قال: (إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين– ثم قال– لا بل هو سواد الليل وبياض النهار). أخرجه البخاري. وسمي الفجر خيطا لأن ما يبدو من البياض يرى ممتدا كالخيط [33].

وهذا ما ارادته الشاعرة ، بانها لم تستطع التمييز بين الليل والنهار فهذه الحروف تنمو في رحم الحب – الحب الحقيقي – الذي يدق له القلب ، فالعلاقة الروحية التي تحسها وتشعر بها الشاعرة دليل على صدق المشاعر ، فالحب يجعلنا نضيع في طياته ، ونحس اننا قلب واحد ، وبامكان الحب جمع الارواح مع بعضها .

إن غادة السمان عندما تستحضر الآيات القرآنية في نسيج اشعارها لاتستحضرها آية كاملة ، بل تقتطع منها جزءاً ثم تصهرها في نسيج خطابها الشعري محافظة على تلك النصوص في صيغتها الاصلية ، وهذا يعني ان وعي الكاتبة قد صاحبها في اثناء عملية التناص ، كقولها في قصيدة " بومة عاشقة متشائمة " [34] :

وكل ليلة، أعلن حقيقتي "البومية "
ولا أتخفى بريش طاووس،
فمتى يخلعون أقنعتهم ويُعلنون أنيابهم
التي لم تعد تخفى على أحد؟ ...
وكيف لا يتشاءم معشر البوم منهم؟ ...
شاهدت رجلاً يأكل لحم أخيه ليلاً،
ويترأس جمعية " النباتيين " نهاراً ،

وهذا يمثل تناص مع الآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [35] .

إذ مازال البشر يتشاءمون من البوم ، لذلك تتخفى الشاعرة بقناع البوم ، لتعلن تشاؤمها من بني البشر المخادعين الذين يتلونون بالوان الطأووس بينما واقعهم اسود ومرير ، فلماذا يتشاءم بنو البشر من البوم ولا يتشاءمون من زعمائهم الذين يقودوهم إلى الخراب ، فالتشاؤم من حب السيطرة وشهية الافتراس ،ولكننا بني البشر منحنا البوم هذا الطائر البريء (رمز الخراب والشؤم)بدون مبدأ أو أي أساس !! .

وفي قصيدة " الأبدية لحظة حنين " [36] :

احببتك اينما كنت ، وكرهت كل من رمى بافأعيه على شجرة
ميلادك الملونة وبالونات الاطفال والضحكات ...فازرع شجرة
الميلاد في قلبي ، ثمة سنوات ضوئية من المحبة اريد ان اغمر بها
افراحك واطفالك.. بالرغم من انف فزاعي الطيور..ولتكن
نارهم برداً وسلاماً على اجنحتك..لن ندع الجرّذان توقعنا في
مصيدتهما معاً ...

فمن الواضح ان النص الشعري جاء متواشجاً ومتماهياً مع النسيج القرآني في قوله : {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[37]. مما اسهم في تنمية الفكرة في الذهن ،فضلا عما يثيره من نواح جمالية تعمق الاثر في النفس ، ثنائية (احببتك ، كرهت)هذه الثنائية المتضادة تدل على شخصية الشاعرة الغاضبة ، فهي تعلن حبها ، وتعلن كرهها للذين يرمون الافاعي ← يدل على

دفين ..فهم اناس يرمون سموهم ويبثونها ، محاولين قتل الحب ومشاعرهم ملونة بالكيد والغش والخديعة ، وردة فعلها..ان تمنحه قمة الحب بزرع شجرة ميلاده في قلبها ، لتمنحه ولادة جديدة وتمنحه السلام فقلبها تربة خصبة للعشق والحب .(السنوات الضوئية) هي دعوة للعيش معها لمسافات شاسعة لقضاء الحب فيه . بالرغم من(انف فزاعي الطيور)الحاسدين والناس التي اجتمعت فهم الرذائل و(الجرذان) كناية عن الناس المرعبين والخبيثين.

والأمر في (ولتكن) بصيغة المضارع المقترن ب لام الامر يدل على الحاضر والمستقبل ، تجعل الشاعرة (العشق) وصفة نورانية ، تُنزل على اجنحته بردا وسلاما ، فبالحب بوسع العصافير ان تطير ، وبالحب يكف الاعداء عن الزمجرة ، وبالحب تكون الحياة ملاذا آمنا ، وبالحب تكون السموات مفتوحة لرفرفة اجنحته ، فهي تمنع اجنحته من الآه .

وفي قصيدة " شاعر يخاف الفئران الافتراضية " [38]:

لا احب مصارعي الثيران

ولا ابطال الكمال الجسماني إذا مشوا في الارض مرحاً .

هناك تناص مع قوله تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} .. [39] .

وجاء التناص مشابهاً لما ورد في القرآن تركيباً ومضموناً، وقد جاء منسجما مع سياق الحديث ، كأنه جزء من بنيته ، فان المشي في الارض مرحا يدل على استعظام الانسان لنفسه باكثر مما هو عليه لمثل البطر والتكبر والمرح ، وهو شدة الفرح بالباطل ، ويظهر الفرح اذا اشتد حتى خف عقله ، وظهرت أثاره في افعاله واقواله وقيامه وقعوده وخاصة في مشيه. وقد ورد المَرَحُ بمعنى : شدَّة الفَرَحِ وَالنَّشَاطِ حَتَّى يجاوزَ قَدْرَه؛ وَقَدْ أَمْرَحَه غَيْرُهُ، وَالِاسْمُ المِراحُ، بِكَسْرِ الْمِيمِ؛ وَقِيلَ: المَرَحُ التَّبَخْتُرُ والاختيالُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً أَي مُتَبَخْتِرًا مُخْتَالًا؛ وَقِيلَ: المَرَحُ الأَشَرُ والبَطَرُ " [40] .

والمرح هو التكبر وازدراء الاخرين ، والاعجاب بالنفس الذي يصل درجة احتقار الاخرين .

تحتضن الاعمال الشعرية لغادة (التراث الديني) وهناك بعض الآيات المكررة ولكنها تمثل العمود الفقري لشبكة التناص في اعمال الشاعرة ففي قصيدة " المتحف الافتراضي "[41]:

وضعتني في اناء داخل سائل تحنيط .

أحكمت اغلاقه علي...

احتفظت به على رف في " متحف الحب الافتراضي ".

لكنك لم ترتح من الغيرة الوسواسة الخناسة .

التي توسوس في صدرك .

لتتهمني بمغازلة زوار المتحف عبر سجيني الزجاجي!!

إذ تكشف هذه القصيدة أن الشاعرة قامت بتناصها مع الآية الكريمة: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)} [42] .

فالقاريء لسورة الناس يلحظ انها جاءت تقريعا لابليس ووسوسته ، وتحذيراً لبني البشر من أنَّ يقعوا في مكائده ، لأنه قضَى حياته مغرياً بالإنسان ، وجالباً للشر[43] . فوسوسة الشيطان تجلب الشر للانسان ، وكلمة الوسواس على صيغة (فعلال) تفيد التكرارلانه لاينفك عن الوسوسة ،والوسواس هو الشيطان واصل الشرور الذي من فتنه وشره يوسوس في الصدور.اما الشاعرة فاستخدمته في معنى ان الشعور بالحب يجعلك تحت سيطرة عاطفتك تجد نفسك متجهاً بكل اهتمامك نحو الحبيب ، وتشعر انه تملكك ولذلك تريد الحفاظ عليه ، وتجد ان مشاعرك تتطور نحو مايسمى بالغيرة وهي وجه اخر لحب التملك والانانية في الحب وهو مطلوب اغلب الوقت ولكن بمقدار معين ، اذن فالحب في نموه يأتي بالغيرة كنتيجة صحيحة ، اما اذا ازداد وتفاقم يتحول الى الشك وهذا بدوره يخلق الوسواس الذي يجعلك تشك في الحبيب وفي تصرفاته وفي مقدار حبه لك ، اذن فالغيرة اللامحدودة تزرع الوسواس ، وإن الحب والغيرة احساسان لايمكن فصلهما امالوسواس والشك فهو مرض نفسي.

وإن وجود الغيرة بين الشريكين هو دليل قاطع على وجود حب حقيقي بينهما والغيرة تعني رفض اي طرف مشاركة شريكة من قبل اي شخص اخر ،ولكن احياناً تتحول هذه الغيرة الى تكن المشاعر القوية الى غيرة مرضية تنعكس سلباً على علاقة الشريكين .

وفي قصيدة "معك عرفت ان الارض مسطحة!..."[44] :

معك عرفت كيف تستطيع الموسيقى .

ان تكون صفارة

تفجر كل لوعة القلب المرهق..

معك صار جلدي القلق ، ووسادتي الوسواس ..

وهذا يمثل تناصاً مع الآية السابقة ايضا ..ان الحب يغير كل شيء ، فالحب يمنح الموسيقى قوة بالغة ، هذه القصيدة تكشف مشاعر المرأة التي وقعت في الحب..

وتفكيرها المستمر يدخلها دائرة الوسوسة والقلق خوفا من ان تفقد هذا الحب ، فالقلق المستمر يؤدي الى الوسوسة .والعاشق عندما يكون لوحده ، ومن شدة حبه وتعلقه ، يأخذه الوسواس الى عالم لايثق بنفسه وبحبيبه ، فيفكر هل ياترى يحبني؟فيصيبه الارهاق واللوعة أي الآلم الذي يجده الانسان من حب اوهم اوحزن .

وتستحضر الشاعرة لفظة (راودتني) في قصيدة:" الابدية لحظة ذكرى " [45] :

قبل ان انام ، راودتني الورقة عن نفسي لأخط لك رسالة ما ، فنحن لم نفترق قبلها ليلة واحدة ، ولم يكن بوسعي ان انام دون ان اذكرك

واتشاجر معك ، وما كدت اخط اسمك على الورقة البيضاء

حتى تحولت الى حقل شاسع من الياسمين .

استثمرت الشاعرة لفظة راودتني بدلالة قرآنية لتعلن براءتها فهي ترتبط بقوله تعالى: {قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [46] .

كانت تفكر به ، فراودتها الورقة اذن هي بريئة ، ارادت ان تكتب له رسالة لتغرق في الحبر كمن يغرق في المطر مبللاً بالماضي والحاضر والذكريات ، حتى قبل الفراق يحن قلب العاشق لمحبوبه ، ويشتاق له ، وتلفه احلام وامنيات .. فهذه الورقة تريد ان تكون الشاهد الذي يجمع بين هذين المحبين فهي لاتريد ان تتعرى من حبه لكي لاتفقد ذكرياتها ، ولاتريد ان تنتهي قصتهما ، لذلك تمنح هذه الورقة صفة الكائن الحي .

ونلمح تناصاً للآية ذاتها في قصيدة :" اشهد بفرح عرفته" [47]:

سامضي الى البحر كأنني استحم

لكنني وحدي اعرف انني ذاهبة الى القاع

لابحر وحيدة في المياه المظلمة

وسأقفز اليها في منارة القارات

المتوجة بالاضواء...

بينما الموت يراودني عن نفسي ..

واستسلم لحبه .

فهي تستسلم لحبه لان الموت امر محتوم ، ستذهب الى اقاصي الخيبة ، لانها في غيابه تستسلم لذكرياته ، البحر والبعد هما الموت والشاعرة عاشت وحيدة والان تموت وحيدة ، فهي مرصودة لحزن كبير يسبب لها الموت والاستسلام ، والموت سيكون جميلا في اعماق بحره فهي ستكون حية اذ تنفست هواءه .

وفي قصيدة " حدث في جنازتي " [48] :

تراودني مدينتك عن نفسها ، تقول لي : عودي إلى احضاني ،

والغزالة في قاعي تركض تركض والرياح تنشد :

لايُلدغ عاشق من جحر مرتين إلا في بيروت !

بيروت الموطن الذي احتضن الشاعرة ، لا تنفك الشاعرة عن الرغبة بالعودة إليها ، فبيروت تراودها وتناديها لتحتضنها كالسابق ، وان بعد الشاعرة عن بيروت بسبب الحرب والمأساة التي

عاشتها هذه البلاد وكان قدرها الدمارعبر حرب هي للأسف (حرب اخوة) فبيروت مدينة الجمال عشقتها الشاعرة نتيجة عشق الحرية ، وفي بيروت فقط كلما استسلمت غادة للتعاسة اكتشفت الفرح ، وجاء التناص مع الحديث النبوي الشريف (لايلدغ المؤمن من جُحُرمرتين)[49] ، للتحذير من تكرار الخطأ ، والحث على التيقظ واستعمال الفطنة ، ليكون المؤمن حذراً ولاينخدع مرة اخرى ، ولكن العاشق يلدغ الف الف مرة في جحر الحب نفسه لايبعده عنه الا الموت .وغادة العاشقة لبيروت التي تتنفس هواءها وتنعم بجمالها مستعدة ان تلدغ مرة ثانية في بيروت بسبب حبها وتعلقها بمدينة الحب والجمال.

وفي قصيدة " حمل أفتراضي "[50] :

لقد قضى الحزن وطره مني ،

لكنني لن احبل باليأس !

وظفت الشاعرة(وطره) التي وردت في قوله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [51].

على الرغم من دوائر الحزن التي حاكت خيوطها حول غادة والذي بلغ مراده من حياتها ، الا انها تتشبث بالأمل ولم تيأس ،ولم تشعر باليأس ، فلا يأس مع الحياة ، فغادة حطمت اليأس والحزن بالعزيمة وألاصرار والطموح .

وفي قصيدة " اشهد على وجه داخل جرحي " [52]:

في الغربة ، اخاف من الاشباح ...

أعني ، أخشى ألا تحضر لتؤنسني !..

إنه الليل ، وأنت بعيد ..

والنجوم فقاعات صابون ..

وبيروت نائية ..

مكفنة بالذعر والشعارات ..

من صنع للمدينة تابوتاً أعلى من غاباتها ؟

ومن حفر لها قبراً أوسع من بحرها ؟

هل قضى الموت وطره من الأميرة المخطوفة ؟..

يتجلى التناص القرآني في كلمة (وطره)وتتساءل الشاعرة متعجبة هل قضى الموت على بيروت وبلغ غايته منها ، بيروت بلاد الامن والسلام والجمال والحب تحولت الى مدينة الذعر بيد ابنائها ، فغادة التي عاشت غريبة ، تعيش الان وحيدة ، وحزينة على بيروت . من خلال هذه الكلمات

نكشف مدى المأساة التي حلت ببيروت ، حتى وصل الحد بالشاعرة ان تعبر بكلمات دالة على معاني الموت (الخوف ، التابوت ، القبر، الموت) ليتيقن القارىء عن ان الحياة توقفت في بيروت !

وبعض الاحيان تورد الشاعرة الكلمة بالنقيض وهذا يدل على غضب الشاعرة ، ومدى الآلم والمعاناة الذين عانت منهما ، وذلك في قصيدة " رافعة علم نزوتي بلا حدود " [53]:

غفران أيها الشيطان !

أعدني إلى حظيرتك

إلى النسيان والخدر واللامبالاة

والضحك والفرح الأرعن ..

واغفر لي إن عصيتك

وأحببت بصدق

وخرجت عن صراطك غير المستقيم

وضعت في متاهة الحب الحقيقي !..

استغلت الشاعرة بنية النص القرآني ، وصاغتها في شعرها لتعبر عن الألم والقهر وقد أثبتت ذلك من خلال التناص مع الآية الكريمة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[54]،.فالصراط المستقيم هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام ،أما النص الشعري فقد جاء بمعنى الصراط غيرالمستقيم تعبيرا عن طريق الشيطان غير المستقيم.

التناص مع المعنى القرآني :

إن التناص في شعر غادة قد يتعدى المفردة والتركيب القرآني وقد يكون الاقتباس من آي الذكر الحكيم جزئياً أي يكتفي بالفكرة والمعنى ، من خلال الانزياح في لفظة أو لفظتين لإنجاز براعة الشاعر في خلق معنوي جديد ففي مقطع من الرقص من البوم [55] تقول :

ليلة أزف إلى عرسي

لن تبدو على وجهي المزرق سعادتي بذلك .

إن استحضار لفظة (المزرق) جاء تناصاً مع الآية الكريمة : {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [56] .لاستثمار فكرة الخوف من هول يوم القيامة ، فالشاعرة تصف حالها عندما تموت مستبقة أحداث حياتها ، فغادة تعايش الموت كما تعايش الحياة ، فالموت بالنسبة لها حياة أخرى لها ذاكراتها الخاصة التي تسجل أحداثها وانطباعاتها .

وجهي المزرق ← يدل على الخوف والرعب .. مما سيجري لاحقا بعد الموت .

وزرقا← زرق العيون أو عطاشاً أوعمياً من الخوف .

لقد ترجمت الصور القرآنية ثقافة الشاعرة الدينية ، فهي لا تنفك عن استحضار هذه الصور والمعاني القرآنية حتى في اشد المواقف – الموت – في قصيدة " معي دائماً " [57] :

فوق أوراقي وجوه لا تغادر دورتي الدموية لأموات مازالوا

أحياء عندي ، وأمطار وقطارات ومطارات وانتحاب سري في

غرف فنادق اجهل أسماءها .

توحي هذه القصيدة بقوله تعالى : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [58] . فتتداخل القصيدة مع نص الآية الكريمة تداخلا إيحائيا ، فتأخذ منها المعنى لتعزز به القصيدة وتزيده عمقا ودلالة ، حيث تكشف هذه العلاقة عن البعد الديني للشخصية الفاعلة (غادة السمان) وعن قناعاتها بالمبادئ والقيم الدينية ، فالشاعرة تستحضر هذه الآية في أصعب المواقف وأشدها مواجهة – الموت – للتغلب على ضعفها وخوفها ولتشحن نفسها بنفحات إيمانية تقويها وتعطيها دافعاً للصمود والنضال والمقاومة ، فالموت والحياة سيان ، فهذه الوجوه وان خسرت الدنيا ، ولكنها لا تزال حية وخالدة في ذاكرة الشاعرة وفي أشعارها .

التناص مع القصص والشخصيات القرآنية :

استدعت غادة السمان الشخصيات القرآنية ، فصاغت القصة القرآنية في عدد من قصائدها ، ثم حورتها لكي تتلائم مع أهدافها الشعرية ، وغادة مولعة باستخدام الرمز في أشعارها ولاسيما من القرآن الكريم فهو المنهل الخصب لاستثمار رمزية الشخصيات الدينية فـ " للتناص القرآني ثراؤه واتساعه ،إذ يجد الشاعر فيه كل ما قد يحتاجه من رموز تعبر عما يريد من قضايا من غير حاجة إلى الشرح والتفصيل ، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين بكل ما يحويه من قصص وعبر " [59] ، وجعلته الشاعرة المرآة التي تعكس واقعها ، إذ أن الأحداث الراهنة امتداد للأحداث المنصرمة . ومن أهم الرموز التي أعادت الشاعرة بثها في قصيدتها شخصية آدم وحواء ، في مقطع من الرقص مع البوم [60] تقول :

لقد انتصر الزمن علينا ايها الشقي فاترك لنا فضيلة الاعتراف

ببشاعتنا بدلاً من القاء اللوم على الافعى والتفاحة والبومة ...

دعنا نعترف بضعفنا المخزي انت وانا وآدم وحواء عصر الفضاء

لاتقل : انه ذنب الافعى قل : كان ذنبنا ذات صيف ...ذات حزن ... ذات تكارة

ذات حب لم يعد يتطرق اليه الحب

استلهمت الشاعرة شخصيتي (آدم وحواء) فضمنتهما في نصها الشعري..واستقت بعض المفردات التي جاءت في القرآن مثل (التفاحة ، الأفعى) لتبرئ (آدم وحواء) من ذنوب البشر ، ومن تحملهما كل الاخطاء وان يكونا النتيجة لكل سبب .. فان توقفا عن حب بعض وان توقفت علاقتهما ، فذلك بسبب عدم صدق المشاعر تجاه بعضهما ، وليس للأفعى من ذنب ، فالذنب

هو ضعف النفوس ، وضعف الارادة ، وضعف المشاعر والمحبة . فهي تتحدث عن البشر الذين بداخلهم الخبث والكذب والنفاق ، والذين يدّعون الحب ، هذه القصيدة احتوت بداخلها الكثير من المعاني العميقة ، وغادة مازلت تدافع عن البوم الذي يتهم بالشؤم بلا سبب ، إنما بشاعة البشر وسوء نواياهم إلى إن يرموا آثامهم على الكائنات الضعيفة لإدعاء البراءة والطهر .. واستحضرت الشاعرة شخصية لقمان الحكيم في قصيدة "لماذا تكره كلمة لماذا؟"[61] تقول فيها:

لماذا تحقد على لقمان الحكيم؟

لماذا حبك أسوأ من الكراهية ؟

لماذا تعشق النار وتكره الضوء؟

وظفت الشاعرة(لقمان الحكيم) الذي ورد في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [62].

يحقد على لقمان الذي عرف بالحكمة لأنه ليس حكيماً، وليس له فهمه نفسه ولايحمل صفاته في كثرة التأمل ، والتفكير المستمر ، ومعرفة عواقب الأمور .وتطرح الشاعرة مجموعة من الأسئلة من باب المعاتبة لازدراء هذا الشخص ، وتظهر عدم الرضا من تصرفاته ،ويبدو أنه شخص لا يحب المسألة بل يحب فرض الرأي ، وان يتصرف برغباته دون أن يردعه شيء بدليل عنوان القصيدة (لماذا تكره كلمة لماذا) ؟ .

وفي قول الشاعرة في قصيدة " شيء اسمه ..الحب " [63]:

ليل مدهش السكينة يسربلنا ، هدوء دامع متعب كهدوء اول فجر طلع على نوح بعد انحسار الطوفان ...وفي عينيك يمتد غصن الزيتون يمسح عن وجهي عرق الفرح والتجدد.

توظف الشاعرة هنا قصة نوح "عليه السلام" وذلك بالحديث عن فجرهادئ كفجر طلع على نوح بعد الطوفان ، وقد ورد في القرآن عقاب قوم نوح بعد عصيانهم بالطوفان وذلك في قوله تعالى : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}[64]. واستحضرت شخصية نوح الذي " يرمزللبحث عن المصير والهدف " وقد ارتبط اسمه ارتباطا وثيقا بالسفينة وهما يشكلان جزءاً من العالم القديم الذي يبدأ به العالم الجديد ، ووظفت الشاعرة الأشارة القرآنية شجرة الزيتون ، وهي قارة في الذاكرة ، وهنا نتلقى حكاية تناص مع الكثير مما هو قار في الذاكرة الاسلامية ، وكرمز من حديقة الفردوس التي اقسم الله بها " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِنِينَ"[65]، كما تحمل دلالات النجاة من الهلاك والعذاب فقد ظلت صامدة بوجه الفيضان .فهو يمثل نقطة التحول والقلب والبداية الجديدة مرتبطة بالفرح .

وفي قصيدة " حوار مع رجل لايُحصى " [66]:

انا بحاجة للانفراد بذاكرتي ، لغاية في نفس " يعقوبة " .أتامل

ذكريات السنة القادمة ، والعالم المبني للمجهول ، وحين تمطر

داخل محبرتي ،أكتب زمننا الآتي بالأثير فوق الريح.

تناص مع الآية الكريمة : {وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[67] .

فجملة (لحاجة في نفس يعقوب) تحولت لدى الشاعرة (لغاية في نفس يعقوبة) .وجاء التناص ممتصا كل المعاني التي تستتر وراء هذه الجملة ، غاية في نفس يعقوب لا يعلمها غير يعقوب فهو لا يبوح بها إنما القارئ أو السامع يستطيع أن يكشف ذلك من خلال الموقف والموضوع ، وغادة تجعلنا أمام صورة تمثلها غادة اليعقوبة هذا التحوير المعنوي وهذا التشبيه ، يجعلنا نعتقد إن غادة تؤمن بمبادئ الشخصيات الإسلامية لذا تسير على نهجهم وتعلن عن ذلك بوحا ، والاهم انها تتخذ موقف هذه الشخصية في نفس الظرف وبنفس الشاكلة ، فيعقوب بكتمانه سر أمر أبنائه الدخول متفرقين .. ينفرد بمعرفة السبب فهو يعلم ما سيجري لاحقا!ورغبة غادة بالإنفراد لتتذكر ما جرى وما سيجري والتأمل في المستقبل ، تحاول أن تقنع القارئ بعلمها ما سيجري لاحقا أوهي طريقة لشد انتباه المتلقى للوقوف لحظة عند هذه الفقرة والتأمل في هذه العبارة.. .. وان هذا الاتحاد والامتزاج عند غادة السمان مع شخصية يعقوب– عليه السلام– يدعونا أن نقول : إن الشاعرة قد عرفت طرائق الأفادة والاستلهام من النص القرآني بشعرها، فضلا عن معرفة الشاعرة باشراقات القرآن الكريم وبلاغته ، وإعجازه الأسلوبي العظيم [61] .

الخاتمة :

1- مما سبق يتبين لنا ان النصوص الشعرية كانت زاخرة بالتناصات القرآنية ، وهذا ان دل على شيء فانه يدل على تشرب غادة بالنصوص القرآنية ، وفهمها لدلالتها ومعانيها ، وقدرتها على توظيف قصص القرآن الكريم وشخصياته في نصوصها الشعرية .
2- توظيف النص القرآني جاء بما يخدم المعنى الشعري ويقوي دلالته، لتعميق بواطن الشعر سواء أكان ذلك في وعي الشاعرة أم في لاوعيها .
3- أظهرت العلاقة التناصية–القرآنية – قدرة الشاعرة على استنطاق النص الديني المقتبس عند تفجير طاقاته الكامنة وامتصاصها واخراجها على شكل تراكيب لغوية ، ضمن سياقات شعرية وفكرية ونفسية جديدة ، تتسق مع الاغراض والدوافع التي حفزت الشاعرة الى هذه التناصات الصريحة او المضمرة .
4- في بعض الأحيان تعيد غادة تشكيل (البنية القرآنية المتكاملة) من جديد فتخلق لها دلالات خاصة ، ولكن الشاعرة تحملها دلالات تنسجم مع النص القرآني .والاقتباسات المباشرة تكاد تكون نادرة.

5- غالبا ما كانت تلجا الشاعرة إلى تكرار الآية ، وهذا التكرار يمثل العمود الفقري في التناص القرآني في أشعار غادة السمان .

6- استحضرت الشاعرة القصص والشخصيات القرآنية ،فهذه القصص تحتوي على كثير من المفاهيم التي لو وظفت في الشعر لأدت من المعاني ما لم تستطع الجمل الكثيرة تأديته ، وبذلك يزداد الثقل الفني للشعر.

---

(1) ينظر : جمهرة اللغة ، ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ج1 ، 1932 :103 .

(2) لسان العرب ، ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت ،ج7 :97-98، مادة (نص) .

(3) ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (نصص) ، مصطفى إبراهيم وأخرون ، مجمع اللغة العربية ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

(4) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، عبد الله الغذامي ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1985 :320 .

(5) شعرية الخطاب السردي، محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 : 116.

(6) ينظر : تداخل النصوص ، هانس جورج روبريشت ، ت : الطاهر شيخاوي ورجاء بن سلامة ، مجلة الحياة التونسية ،ع 50 ، 1988 : 53 . وينظر أيضا : قاموس اللسانيات ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب : 162 .

(7) شعرية الخطاب الشعري : 121 .

(8) التناص نظرياً وتطبيقياً ، احمد الزعبي ، مكتبة الكتاني ، إربد ، 1995 م : 9 .

(9) مناورات شعرية ، محمد عبد المطلب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1996 : 49 – 50 .

(10) ابو العلاء المعري أو متاهات القول ، عبد الفتاح كيليطو ، دار تبقال ، الدار البيضاء،ط1 ، 2000 :24.

(11) غادة السمان بلا اجنحة ، غالي شكري ، دار الطليعة ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 1977 :29 .

(12) ينظر: توظيف الموروث في الرواية الأردنية المعاصرة ، رفعة محمد عبد الله دودين ، وزارة الثقافة ، عمان ، 1997 : 61 .

(13) الحبيب الافتراضي ،غادة السمان ، منشورات غادة السمان ، بيروت – لبنان ط1، 2005 :119 .

(14) محمد : 15 .

(15) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) ، ت : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ،ج7 : 307 .

(16) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، 1399هـ - 1979م ،ج1 :104.

(17) عاشقة في محبرة عاشقة في محبرة ، منتدى شبكة المصممين العرب
http: / www.shabab lek.com

(18) الواقعة :51-52 .

(19) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفي : 711هـ) ، دار صادر- بيروت، ط3 – 1414 هـ ،ج12 ، فصل الزاي : 269.

(20) عبارات ومصطلحات من البادية ، صالح زيادنه ، مطبعة المنار ، رهط ، ط1 ، 2005 .

(21) أعلنت عليك الحب ، غادة السمان ، منشورات غادة السمان ، بيروت – لبنان، ط10، 1996: 103.

(22) يس: 83 .

(23) ينظر لسان العرب ، ج10 ، فصل الميم : 492 .

(24) أعلنت عليك الحب :77 .

(25) النور:40.

(26) الخطيئة والتكفير ، د. عبد الله الغذامي ، د.م ، ط2 ، 1991 : 13 .

(27) أشهد عكس الريح ،غادة السمان، منشورات غادة السمان ، بيروت – لبنان ، ط 2، 1992 :85 .

(28) يوسف: 28.

(29) أعلنت عليك الحب :35 .

(30) يس: 82 .

(31) أعلنت عليك الحب : 32 .

(32) البقرة : 187 .

(33) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) ، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط2، 1384هـ - 1964 م ، ج2 : 320.

(34) عاشقة في محبرة http: / www.shabab lek.com

(35) الحُجُرات:12.

(36) الأبدية لحظة حب ، غادة السمان ، منشورات غادة السمان ، د.ط، د.ت : 162 .

(37)الأنبياء:69.

(38) الحبيب الافتراضي : 128 .

(39) لقمان : 18 .

(40) لسان العرب ، ج 2 ، فصل الميم : 591 .

(41) الحبيب الافتراضي : 79 .

(42) الناس:6.

(43) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت 538 هـ) ، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمّادي ، مكتبة مصر، الفجالة، د.ت ، ج4: 657 .

(44) أعلنت عليك الحب : 109 – 110 .

(45) الأبدية لحظة حب : 203 .

(46) يوسف : 26 .

(47) أشهد عكس الريح :62–63 .

(48) الأبدية لحظة حب : 81 .

(49) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، احمد بن حجر العسقلاني ، دار الريان للتراث ، 1907 هـ ، 1986م ، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين : 547 .

(50) الحبيب الأفتراضي : 132.

(51) الأحزاب:37.

(52) اشهد عكس الريح :65 .

(53) أعلنت عليك الحب : 70 .

(54) الفاتحة:6.

(55) الرقص مع البوم ،غادة السمان ، منشورات غادة السمان ، بيروت – لبنان، ط1 ، 2003، المقطع 36 .

(56) طه: 102.

(57) الأبدية لحظة حب : 185 .

(58) آل عمران: 169.

(59) التناص في الشعر العربي الحديث – البرغوثي نموذجا: حصة البادي ، دار الكنوز ، المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان – الأردن ، 2009 : 41 .

(60) المقطع 31 .

(61) الأبدية لحظة حب : 142 .

(62) لقمان : 12 .

(63) حب ، غادة السمان ، منشورات غادة السمان، بيروت – لبنان ، ط9 ،1991 : 26 .

(64)العنكبوت:14.

(65) التين : 1–2 .

(66) الأبدية لحظة حب :30 .

(67) يوسف: 68.

(61) ينظر : الرموز القرآنية في الشعر العربي الحديث ، خالد الكركي ، دراسة في قصائد مختارة في الشعر العربي الحر ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ،مجلد 16 ،ع3 ، 1989 : 7 .

المصادر والمراجع :

المجاميع الشعرية :

- الأبدية لحظة حب ، غادة السمان ، منشورات غادة السمان ، د.ط، د.ت .
- أشهد عكس الريح ،غادة السمان،منشورات غادة السمان، بيروت–لبنان،ط 2،1992.
- أعلنت عليك الحب ، غادة السمان ، منشورات غادة السمان ، بيروت – لبنان، ط10، 1996.
- حب ، غادة السمان ، منشورات غادة السمان، بيروت – لبنان ، ط9 ،1991.
- الحبيب الافتراضي،غادة السمان،منشورات غادة السمان،بيروت– لبنان، ط2005،1.
- الرقص مع البوم ، غادة السمان ، منشورات غادة السمان ، بيروت – لبنان ط1 ، 2003.
- عاشقة في محبرة ، منتدى شبكة المصممين العرب

http: / www.shabab lek.com

المصادر والمراجع :

- أبو العلاء المعري أو متاهات القول ، عبد الفتاح كيليطو، دار تبقال ، الدار البيضاء، ط1 ،2000 .
- التناص في الشعر العربي الحديث – البرغوثي نموذجا: حصة البادي ، دار الكنوز ، المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2009 .
- التناص نظرياً وتطبيقياً ، احمد الزعبي ، مكتبة الكتاني ، إربد ، 1995م .
- توظيف الموروث في الرواية الأردنية المعاصرة ، رفعة محمد عبد الله دودين ، وزارة الثقافة ، عمان ، 1997.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) ، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط2، 1384هـ - 1964 م ، ج2.
- جمهرة اللغة ، ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت 321هـ ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه
  للنشر والتوزيع ، ج1، القاهرة ، 1932 .
- الخطيئة والتكفير من البنيوية ألى التشريحية ، عبد الله الغذامي ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1985.
- الخطيئة والتكفير ، د. عبد الله الغذامي ، د.م ، ط2 ، 1991 .

- شعرية الخطاب السردي، محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005.
- عبارات ومصطلحات من البادية ،صالح زيادنه ،مطبعة المنار ، رهط ، ط1 ،2005.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) ،ت :د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ،ج7 .
- غادة السمان بلا أجنحة ، غالي شكري ، دار الطليعة ، بيروت– لبنان ، ط1، 1977.
- فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، احمد بن حجر العسقلاني ، دار الريان للتراث ، 1907 هـ ، 1986م .
- قاموس اللسانيات ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، د.ط ،.د.ت .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت 538 هـ) ، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمّادي ، مكتبة مصر، الفجالة، د.ت ، ج4 .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفي : 711هـ) ، دار صادر– بيروت، ط3 – 1414 هـ .
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، 1399هـ – 1979م ،ج1 .
- المعجم الوسيط ، مصطفى إبراهيم و أخرون ، مجمع اللغة العربية ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
- مناورات شعرية ، محمد عبد المطلب ، دار الشروق ، القاهرة ،ط1 ، 1996 .

الدوريات :

- تداخل النصوص ، هانز جورج روبريشت ، ت : الطاهر الشيخاوي –ورجاء بن سلامة – مجلة الحياة التونسية ،ع 50 ، 1988 .
- الرموز القرآنية في الشعر العربي الحديث ، خالد الكركي ، دراسة في قصائد مختارة في الشعر العربي الحر ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ،مجلد 16 ،ع3 ، 1989.